قوله تعالى على الاثر يا ايها الذين كفروا اي بالاخلال بالادب مع ان النبي صلى الله عليه وسلم
قادهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى وبالادب مع سائر خلقه لا تعتذروا اي تبالغوا
في اظهار العذر وهو اساغ الحيلة في دفع موئل ما ظهر من التقصير اليوم فانه يوم الجزاء
لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار وهذا النهي لتحقيق الياس
انما تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة والطبع تعملون في الدنيا
ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال البقاعي ولا يبعد على الله ان يصور لكل
انسان صورة عمله بحيث لا يشك انها عمله ثم يحيل تلك الصورة عذابا له الذي عذب من الله
ما علم الله تعالى انه معتمدا استحقاقه ولما بين تعالى ان المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم امرهم
بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا اي ارجعوا رجوعا تاما الى الله اي الملك
الذي لا نظير له توبة وقوله تعالى نصوحا صفة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهي من نصح
الثوب اي خاطه فكان التائب يرقع ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم عسل ناصح اي
خالص وقرأ شعبة بضم النون والباقون بفتحها تنبيه امرهم بالتوبة وهي فرض على
الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة
النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هو ان يكون
العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان
ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار
وعن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله تعالى امام عينك وتستعد
لمنتظرك وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس ونصيحة المومنين لان من
صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون بها انفسهم
وقال القرطبي يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود
بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان وقال الفقهاء التوبة التي لا تتعلق بحق ادمي فيها ثلاثة
شروط احدها ان تقلع عن المعصية وثانيها ان تندم على ما فعله وثالثها ان تعزم على ان
لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح
توبته وان كانت تتعلق بادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من
حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حد قذف ونحوه
مكنه من نفسه او طلب العفو منه وان كانت غيبة استحله منها قال العلماء التوبة واجبة
من كل معصية كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز تاخيرها وتجب من جميع الذنوب وان
تاب من بعضها صحت توبته مما تاب منه وبقي عليه الذي لم يتب منه هذا مذهب اهل
السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح
بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة وعن ابي موسى الاشعري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده
بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وعن علي انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك
واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة
قال يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في
المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي عن حذيفة بحسب الرجل
من الشر ان يتوب ثم يعود فيه وقوله تعالى عسى ربكم اي المحسن اليكم ان يكفر اي
يغطي تغطية عظيمة عنكم سيئاتكم اي ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله
لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التائب على خطر فما ظنك

بالمصر

بالمصر ولكن الفضل واسع ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار بقوله
تعالى ويدخلكم اي يوم الفصل جنات اي بساتين كثيرة الاشجار يستر داخلها تجري من
تحتها اي تحت غرفها واشجارها الانهار وهي لا تزال ريا وقوله تعالى يوم لا يخزي الله
اي الملك الاعظم النبي اي الذي نباه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار
التي هي في غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزيه هنا يعذبه اي
لا يعذبه وقوله تعالى والذين امنوا معه يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا
على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم مستانفا او حالا الثاني ان يكون مبتدا وخبره نورهم يسعى الخ وقوله تعالى
يقولون خبر ثان او حال تنبيه المتشرف بالايمان انه لا يسعى ان لهم نورا عن
شمايلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما السابقون واما اهل اليمين
فهم يمشون في ما بين الجهتين ويؤتون صحائف اعمالهم منها واما اصحاب الشمال
فيعطونها من وراء ظهورهم ومن شمايلهم وهم بما لهم من النور اذا قالوا يسمع لهم وان شفعوا
شفعوا ربنا اي ايها المحسن الينا بهذا النور وبكل خير كان او يكون فينا اتمم لنا نورنا
اي الذي مننت به علينا حتى يكون في غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي
نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن ان الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله تعالى
كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من
النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم
حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا اي وامح عنا كل
نقص كان يميل بنا الى احوال الدنيا فنهي عنه واثره وهذا النور هو صور اعمالهم في الدار
لان الاخرة تظهر فيها حقائق الاشيا وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذي شرعه وهو
الصراط الذي يضرب بمثله ظهر جهنم لان الفضايل في الدنيا متوسطة بين الرذائل
فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذائل
ما كان من جهتيه عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على ما امر به من غير افراط
ولا تفريط كان نوره تاما ومن امال الشهوات طفي نوره في بعض الاوقات
واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق
يظهر له نور اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفي لان الاقرار لا حقيقة له انك اي
وحدك على كل شيء يمكن دخول المشيئة فيه قدير اي بالغ القدرة ولما ذكرنا تقدم
من لينه صلى الله عليه وسلم للاضعف الناس الى النساء وحسن ادبه وكرم عشرته لانه مجبول
على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم امره سبحانه بالغلظة والشدة على اعداء الله
بقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار اي بكل ما يجدهم فيكفهم بالسيف وما دونه
من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرفنا ان ذلك اللين لاهل الله انما هو من
تمام عقلك وعزيز علمك وفضلك والمنافقين اي جاهدهم بما يليق بهم من الحجة
والسيف ان اتضح البدا وانوع مظاهرتهم وعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم
لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المومنين وقال الحسن وجاهدهم باقامة
الحدود عليهم واغلظ عليهم بالفعل والقول والتوبيخ والزجر والابعاد والاهتار
والغلظ عليهم من اللين لله تعالى كما ان اللين لاهل الله من خشية الله وتراحمهم نعم لها
والباقون بكسرها وماواهم اي في الاخرة جهنم وبئس المصير اي هي ولما كان للكفار
قرابات بالمسلمين ربما توهم انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار انها تضرهم ضرب لكل
مثلا وبدا بالاول فقال تعالى ضرب الله اي الملك الذي احاط بكل شيء علما وقدرة مثلا
يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له اهلية الاتعاظ للذين كفروا اي غطوا الحق

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)